الجمهورية الجزائرية الدّيمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
كلية الآداب والحضارة الإسلامية

الملتقى الوطني الأول حول:

الخطاب التعليمي عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

في ضوء اللسانيات المعاصرة

16 أفريل 2024

عنوان المداخلة:

مركزية التعليم في مشروع جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

الدكتور عبد العزيز شلي
أستاذ التفسير وعلوم القرآن
قسم الكتاب السنة

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تمهيد:

أقدّم هذه الورقة العلمية والموسومة بـــ: مركزية التعليم في مشروع جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في هذا الملتقى الوطني الذي تنظمه **كلية الآداب والحضارة الإسلامية والموسوم بـــ: الخطاب التعليمي عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في ضـــوء اللســـانيات المعاصرة.**

ملخص المداخلة:

واجهت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تحدي رفع الجهل عن الشعب الجزائري بمشروع تعليمي لمواجهة مشروع التجهيل الذي انتهجته فرنسا، فكانت العملية التعليمية في مركز اهتمام علماء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، لأنهم يرون أن التعليم هو الـــذي يطبـــع المتعلم بالطابع الذي يكون عليه في مستقبل حياته وما يستقبل من علمه لنفسه وغيره، وأن صلاح التعليم إنما يتحقّق إذا رجعنا به للتعليم النّبوي في شكله وموضـــوعه وفي مادتـــه وصورته.

وجمعية العلماء جمعية علمية واقعية، تنظر إلى الواقع بعين العلم الذي تحل به ما استعصـــى من حال الأمة الجزائرية، فرأت أن تيّار التجهيل المؤيّد بأسباب القوة الاستعمارية لا يقاوم بالأقوال، بل لابدّ أن يقاوم بتقوية مشروع تعليمي طارد للأمية والجهل.

أهمية الموضوع:

كان التعليم، ولا يزال، هو الأساس الحقيقي الذي تبنى عليه الحضارات، وهو الموجه لأيّ تقدّم في المجتمع الإنساني، والتعليم هو أساس كل نهضة وتنمية، وهو مناط التقدّم والرّقـــيّ للفرد والمجتمع، فالتّعليم للفرد تحرير لعقله من الأوهام والضـــلالات في الـــدين والـــدنيا، وتهذيب لنفسه وتزكية لروحه التزكية المثمرة، فتتحرّر نفسه من تأليه الأهواء والرجال، فإذا بالمتعلّم قد استوى عودُه واستقام، فصار لبنة قوية في بناء المجتمع، (وإن تحريـــر العقـــول لأساسٌ لتحرير الأبدان وأصْلٌ له، ومحال أن يتحرّر بدَنٌ يحمل عقلًا عبدًا)[1]

---

[1] آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي – ج 3 ص 56.

ربانية مصدر التعليم:

فالله جلّ وعزّ قد أكرم آدم وأعلى شأنه بين الملائكة حينما علمه: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ... ﴿٣١﴾﴾ البقرة، ثم إنه جلّ وعزّ علّم أنبياءه ومرسليه ما لم يكونوا يعلمون، كما علم محمّدا صلّى الله عليه وسلّم الوحي في أول ما أنزل إليه: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ العلق، وأنه جلّ وعزّ علم نبيه ما لم يكن يعلم: ﴿...وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾ النساء، كما علّم الله جلّ جلاله البشر من أحكامه وعلمه كما في قوله تعالى: ﴿...وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾﴾ البقرة.

النبي صلّى الله عليه وسلّم أول معلم:

بعث الله جلّ وعزّ نبيّه صلّى الله عليه وسلّم معلما لأمته لتحليتهم بكمال علم آيات الله تعالى وتزكيتهم: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾ الجمعة، وقد أخبر النبي صلّى الله عليه وسلّم أنّ الله بعثه معلما فقال: (...إن الله لم يبعثني معنّتا ولا متعنّتا ولكن بعثني معلّما ميسّرا)[1].

المشروع التعليمي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين في مواجهة المشروع الفرنسي:

أبانت فرنسا عن مشروعها في الجزائر وعلى لسان قادتها أن هدفهم هو: (تمدين) الجزائريين (المتوحشين)[2]، وذلك بإحلال النظم الفرنسية محل النظم الإسلامية، وتلك هي رسالتهم الحضارية ؟؟؟ التي يؤدونها ليصبح المجتمع الجزائري مجتمعا متفرنسا لغة ودينا ونظما، ولا يتحقق لها إلا بتحطيم التعليم العربي وتعويضه بتعليم فرنسي.

فهل كان الجزائريون من المتوحشين الذين هم في حاجة التمدن الغربي الاستعماري؟؟؟

يؤكد المؤرخون أن التعليم كان منتشرا في الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي انتشارا كبيرا في الحواضر العلمية بالقطر الجزائري، وهي: الجزائر وقسنطينة وبجاية وتلمسان ومازونة، في

---

[1] صحيح مسلم – كتاب الطلاق – باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقا إلا بالنية.

[2] تاريخ الجزائر الثقافي– أبو القاسم سعد الله – ج 6 ص 197.

المحاضن العمية: الكتاتيب القرآنية والزوايا والمساجد والمدارس ويشهد بذلك المؤرخون المنصفون: (وقد كتب المؤرخ الفرنسي موريس بولارد في كتابه " تعليم الأهالي في الجزائر " كان في الجزائر في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين مراكز ثقافية باهرة وكان فيها أساتذة متمكنون ...وكانت المدارس الكثيرة العدد منتشرة في ربوع البلاد والتعليم فيها ديني ومدني)[1].

وبانتشار التعليم انحسرت نسبة الأمية بين الجزائريين، (وقد شهد عدّة فرنسيين شاهدوا الجزائر في فترة الاحتلال بأن الأمية منعدمة تقريبا في الجزائر و(أنّ سكان الجزائر قد يكونون أكثر ثقافة من سكان فرنسا فكل الناس تقريبا يعرفون القراءة والحساب)كما يقول روزي. وقد أكّد هذه الفكرة (والسون إسير هازي) الذي يرى أن نسبة الأمية في الجزائر كانت في 1830 أقل منها في فرنسا)[2].

ويمكننا تفسير الانتشار الواسع للتعليم بالانتشار الواسع للأوقاف المخصصة له وقد عمد الاستعمار إلى مصادرتها من أول يوم (فماذا صنع الاحتلال الفرنسي من أول يوم؟ بدأ بخطة كانت مرسومة من قبل وكشف عن مقاصده المبيّتة للإسلام بعد أسابيع من احتلال الجزائر العاصمة،... بدأ بمصادرة الأوقاف الإسلامية بجميع أنواعها في العاصمة وإلحاقها بأملاك الدولة المحتلّة، وأصدر قانونًا بتعميم المصادرة في كل شبر يحتلّه)[3].

وقد قام المشروع الفرنسي في الجزائر على سياسة (التجهيل الرسمي) فقد سلكت فيه فرنسا كل المسالك لتجهيل الشعب الجزائري ليسهل عليها بعد ذلك تحقيق مشروعها الصليبي في الجزائر فـ(منذ 1888، وهي فترة حكم (لويس تيرمان) في الجزائر، فترة التجهيل الرسمي وقانون الأهالي البغيض)[4]، وقد حارب المستدمر الفرنسي العلم بجميع أنواعه في أوساط الأمة الجزائرية، (وسطّر سياسته مع الجزائريين في لفظين: "التفقير والتجهيل")[5] ، ويعتبر التجهيل أحد الأقانيم الثلاثة في عقيدة فرنسا الصليبية في تعاملها مع المسلمين الجزائريين

---

[1] الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر – رابح تركي – ص 343.

[2] كتاب تاريخ الجزائر في القديم والحديث للشيخ مبارك الميلي- ص 317.

[3] آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي- ج 5 ص 74.

[4] تاريخ الجزائر الثقافي- أبو القاسم سعد الله – 7/ 269.

[5] آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي- ج 5 ص 218.

فـــ(الإذلال والإفقار والتجهيل هي الأقانيم الثلاثة في عقيدة الاستعمار التي يتعبّد بهـــا في معاملة المسلمين الجزائريين)[1]، وقد نجح المشروع الفرنسي في جعل كثير من الجزائـــريين أمواتا على وجه الأرض، يضاهي موتهم موت الذين هم في بطنها (ليقيم زردة لأمـــوات وجه الأرض على أموات بطنها)[2] .

علماء الجزائر والدعوة إلى التعليم:

هكذا وصف مفدي زكرياء الدور التعليمي الرسالي الذي ينبغي أن تضطلع بـــه جمعيـــة العلماء :

جمعية العلماء المسلمين ومَنْ ... للمسلمين سواكِ اليوم منشود؟
خاب الرجآ في سواكِ اليوم، فاضطلعي ... بالعبء، مُذْ فرَّ دجال ورعديد
سيروا، ولا تهنوا، فالشعب يرقبكم ... وجاهدوا، فَلِواءُ النصر معقود
أمانة الشعب، قد شُدَّت بعاتقكم ... فما لغيركمُ، تُلقَى المقاليد [3]

كادت الأمة الجزائرية أن تفقد ذاتيتها بانتشار البدع فيها والاعتقاد بالخرافات وطغيـــان الطرقية، حتى قيض الله لها **عبقري الإصلاح والنهضة العلمية والتربويـــة في الجزائـــر: الشيخ عبد الحميد بن باديس** ومن التفّ حوله من إخوانه العلماء المسلمين الذين آلمتهم حالُ أمّتهم، وأقلق ضميرَهم سوءُ الحياة الاجتماعية، وكثـــرة الضـــلال والانحـــراف إلى الجاهلية، وهؤلاء كانوا هم الرواد الأوائل لحركة الإصلاح الديني والأخلاقي والاجتماعي في أرض الشهداء[4].

ابن باديس يدعو الجزائريين إلى التّعلم:

كتب ابن باديس عن أيهما ينهض بالأمم: الإسلام الذاتي أم الإسلام الوراثي؛ وبيّن أن الإسلام التقليدي هو الذي يأخذه الأبناء عن الآباء دون نظر ولا تفكير، وإنما هو الاتباع لهم على مـــا هم عليه فتنشأ عند هم محبة عاطفية للإسلام وأهله، (لكن هذا الإسلام الـــوراثي لا يمكـــن أن

---

[1] آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي- ج 5 ص 124.

[2] آثار ابن باديس- د/ عمار طالبي- ج 3 ج 350.

[3] ديوان اللهب المقدس- مفدي زكريا – ص:268. والقصيدة بتاريخ 25 أكتوبر 1953

[4] ينظر: آثار ابن باديس- د/ عمار طالبي- 1/ 18.

ينهض بالأمم، لأن الأمم لا تنهض إلا بعد تنبه أفكارها وتقنح أنظارها، والإسلام الوراثي مبني على الجمود والتقليد فلا فكر فيه ولا نظر)[1] .

ثم قابل السلام الوراثي بالإسلام الذاتي الذي أمرنا الله به، فقد استدل له ابن باديس بمثل قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا ... ﴿٤٦﴾﴾ سبأ، فيقرر أنه (بالتفكر في آيات الله السمعية وآيته الكونية وبناء الأقوال والأعمال والأحكام على الفكر، تنهض الأمم فتستثمر ما في السماوات وما في الأرض وتشيد صروح المدنية والعمران)[2].

ثم يقول: فبماذا نتوصل إلى هذا الواجب المفروض؟ ويجيب أنه لا سبيل إلى ذلك إلا (سبيل واحد هو التعليم ، فلا يكون المسلم مسلما حتى يتعلم الإسلام فالمسلمون- أفرادا وجماعات- مسؤولون عن تعلم وتعليم الإسلام، للبنين والبنات، للرجال والنساء، كل بما استطاع والقليل من ذلك خيره كثير ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾ القمر)[3].

ودعا الجزائري إلى المحافظة على عقله لأنه مناط التّعلم وهو النور الإلهي الذي يهتدي به إلى طريق السعادة في الحياة، ويحذر الجزائري من كل (متعيلم) يزهده في علم من العلوم، لأن القرآن دعا إليها بالآيات الصريحة[4].

محمد البشير الإبراهيمي والدعوة إلى التعلم:

أما الإبراهيمي فإنه كان يؤمن أن التعليم "نوع من الجهاد"، ويرى المدارس "ميادين جهاد"، ويعتبر المعلمين "مجاهدين"، مستحقين لأجر الجهاد، لأن "التعليم هو عدو الاستعمار الألد") [5]،وهو عدو الجهل والجهل أخو الاستعمار، ولذلك فهو فالإبراهيمي[6] يرى أن التعليم هو السبيل لتحرير العقول من الأوهام، وهو السبيل الممهد إلى تحرير الأبدان من الاستعباد، ويرى أنّ الطالب لا يكون في حياته العملية إلا إذا كان قويا في العلم، ولا يمكن لطالب العلم أن يكون قويا إلا إذا وقف وقته كله عليه وانقطع له انقطاعا

---

[1] آثار ابن باديس- د/ عمار طالبي- ج 3 ج 241.

[2] نفسه – د/ عمار طالبي- ج 3 ص 240.

[3] نفسه – د/ عمار طالبي- ج 3 ص 242.

[4] ينظر: آثار ابن باديس- د/ عمار طالبي- ج 3 ص 177.

[5] آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي- ج 2 ص 20. أنظر البيان أصدره الشيخ في 16 أفريل 1964.

[6] نفسه – ج 2 ص 235.

لأنّ (العلم لا يعطي القياد إلا لمن مهره السهاد، وصرَف إليه أعنّة الاجتهاد)[1].

تأسيس الجمعية العلماء المسلمين الجزائريين:

يرى الإبراهيمي أنّ الجمعية مرت في نشأتها بأطوار كأطوار نشأة الإنسان، فقد كانت فكرة عند جماعة قليلة من علماء الجزائر، ثم (استقرّت في ذهنين متجاوبين، أحدهما **ذهن جبّار وهو ذهن عبد الحميد ابن باديس**، ثم تناولها الذهنان بالإشاعة حتى أصبحت عقيدة ثم تتابعت الدواعي من انتشار الوعي في الأمة فأصبحت حقيقة، وكأنّ المتلاحق من أحوال الأمّة قال لها: كوني فكانت، وجلاها الله لميقاتها بلا بطء ولا إسراع)[2] ، وشاء الله تعالى بعد ذلك أن تؤسس جمعية العلماء في شكلها القانوني – بعدما كانت فكرة – في الخامس من ماي عام 1931 ميلادية وتتحصل على الاعتماد في نهاية الشهر نفسه، فكانت نقيصة للمشروع الفرنسي في ظل نشوة الاستعمار بالفرح لمرور مائة سنة على استقراره في الجزائر، وما إن صحا من سكرة احتفالاته الصاخبة حتى استفاق على (تكوين جمعية العلماء في غمرة من ابتهاج الأمة بهذا المولود الجديد)[3]، ومما ساعد على حصول الجمعية على الاعتماد أنّ (الحكومة الفرنسية في ذلك الوقت تستهين بأعمال العالم المسلم، وتعتقد أننا لا نضطلع بالأعمال العظيمة فخيّبنا ظنّها والحمد لله)[4].

وبتأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تكون قد تأسست في الجزائر حركة (ليست حركة دينية محضة بالمعنى المفهوم من أمثالها في الشرق الإسلامي، وإنما هي حركة كلية لها طرفان:

– أحدهما: الدين بعقائده وأخلاقه وفضائله وروحانيته.

– والثاني: الدنيا بقوّتها ومالها وعزّتها وسيادتها وعلومها.

ولا فاصل بين الطرفين ولا وجود لأحدهما بدون الآخر)[5].

---

[1] نفسه – ج 3ص 203.

[2] آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي– ج 4 ص 164.

[3] نفسه – ج 4 ص 164.

[4] نفسه – ج 5 ص 280.

[5] نفسه – ج 4 ص 88.

موقف فرنسا من الجمعية:

بعد أن استفاقت فرنسا من غفوتها وظهر لها المشروع الإصلاحي لجمعية العلماء، وبدأت ثمار المشروع تظهر؛ إذ أن فرنسا تجهّل والجمعية تعلّم و فرنسا تهدم والجمعية تبني فتبين لفرنسا (أن أعدى عدو لها هو جمعية العلماء الجزائريين لأنها كشفت عن مكايدها الخفية، وناقضت كل عمل لها بضده، فهي تهدم وجمعية العلماء تبني، وهي تُجهّل، والجمعية تعلم، وهي تنوم والجمعية توقظ، وكفى بهذا سببًا للعداوة التي لا صداقة معها، ويمنعنا الخجل أن نذكر ما لقيته الجمعية من فرنسا ... فإنه في سبيل الله)[1].

المشروع التعليمي عند علماء الجمعية:

اقتنع علماء الجمعية بأنه لا شيء يهيئ الأمة لتقبل المشروع الإصلاحي التحرري كنشر العلم لمواجهة سياسة التجهيل الممنهجة التي تمارسا فرنسا، وذلك لتحرير العقل الجزائري الذي أضحى في خطر[2]، فكان (المقصد الأول لجمعية العلماء هو التربية والتعليم)[3]، فهو المشروع الذي يمحى به الجهل ويقضى به على الخرافة، التي أنشأتها وكرّستها الأوضاع الطرقية والتي ومبناها كلّها على الغلوّ في الشيخ والتحيّز لاتباع الشيخ وخدمة دار الشيخ وأولاد الشيخ إلى ما هناك من استغلال ما أدى إلى (تجميد للعقول وإماتة للهمم وقتل للشعور وغير ذلك من الشرور)[4].

وفي سنة 1934 أعلن ابن باديس عن طموح جمعية العلماء في تأسيس كلية علمية للعلوم الإسلامية لأنّ ذلك هو غايتها الكبرى، وبانضمام طلبة العمالة الوهرانية يكون قد تمّ التمثيل الوطني للطلبة بالجامع الأخضر (فكان ذلك أول خطوة خطتها الجمعية لغايتها الكبرى وهي تأسيس كلية علمية للعلوم الإسلامية وما هؤلاء المجتمعون من العمالات الثلاث إلا نواة لذلك المشروع العظيم حقق الله فيه الآمال)[5]، و لم تتحقق أمنية ابن باديس

---

1 آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي- ج 4 ص 171.

2 في السادس من شهر أوت من سنة 1925 كتب الشيخ مبارك الميلي مقالا في جريدة " المنتقد" للإمام ابن باديس عنوانه: العقل الجزائري في خطر.

3 آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي – ج 4 ص 173.

4 آثار ابن باديس- ج 3 ص 133.

5 نفسه – ج 3 ص 198.

إلا بعد وفاته سنة 1947 بتأسيس معهد عبد الحميد بن باديس بقسنطينة.

الجمع بين التربية والتعليم:

بنت جمعية العلماء مشروعها التعليمي لنهضة المجتمع الجزائري لمواجهة مشروع التجهيل الاستعماري على الجمع بين التربية والتعليم، ويعلّل الشيخ الإبراهيمي ذلك بقوله: (لأن العلم الخالي من التربية ضررُه أكثرُ من نفعه، وما أصيب المسلمون في عزّهم إلا يوم فارقت التربية الصالحة العلم، وكم شقي أصحاب العلم المجرّد بالعلم وأشقوا أممهم، والسعادة غاية لا يسلك إليها طريق العلم وحده من غير أن تصاحبه التربية، وأنّ الجمع بين التربية والتعليم هو وظيفة النبوّة التي بيّنها الوحي في قوله تعالى: ﴿... وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾﴾ البقرة)[1].

وقد استلهمت الجمعية الجمع في مشروعها التعليمي بين التربية والتعليم من القرآن الكريم، فقد جاء في آيه ذكر التزكية قبل التعليم في موضعين من كتاب الله:

-الأول في سورة آل عمران قوله تعالى:﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ... ﴿١٦٤﴾﴾

والثاني في سورة الجمعة قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ... ﴿٢﴾﴾.

وذكر التعليم قبل التزكية في موضع البقرة بقوله: ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾

فكان الجمع بين التربية والتعليم هو المنهج الأمثل لبناء المشروع التعليمي عند جمعية العلماء لتكوين الرجال الرساليين.

التعليم أساس كل نهضة:

بالعلم تُبنى نهضات الأمم، وعلى صوت العلماء تُبعث الهمم من مراقدها وتتحفّز العقول لرفع راية التقدم في جميع نواحي الحياة، ولذلك كان المقصد الأول لجمعية العلماء هو التربية والتعليم، وحينما(كانت جمعية العلماء فكانت نهضة الأمة، دوّى صوت العلم

---

[1] آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي – ج 4 ص 173.

فأيقظها من رقدتها، وكذلك عرفت الأمم من تاريخها لا تنهض إلا على صوت علمائها، فهو الذي يحل الأفكار من عقلها، ويزيل عن الأبصار غشاواتها ويبعث الهمم من مراقدها ويرفع بالأمم إلى التقدم في جميع نواحي الحياة، ولهذا ترى أعداء النهوض من كل عصر ومصر يبذلون لإخفات هذا الصوت كل جهودهم ويكيدون له كل كيد ﴿ يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِۚ وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ١٩ ﴾ البقرة [1].

صلاح التعليم أساس الإصلاح

إنّ الإصلاح والتغيير لا يكتب له النجاح إلا إذا مرّ عبر بوابة إصلاح التعليم لإعداد الرجال الرساليين، التعليم الذي يربي النفس ويزكيها انطلاقا من تصحيح العقائد لإصلاح الباطن، والباطن هو أساس إصلاح الظاهر(إن الذي نوجه إليه الاهتمام الأعظم في تربية أنفسنا وتربية غيرنا هو تصحيح العقائد، وتقويم الأخلاق، فالباطن أساس الظاهر، وفي الجسد مضغة [2] إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله)[3]، ولذلك نجد ابن باديس يكتب مقالا بعنوان: صلاح التعليم أساس الإصلاح [4] بيّن فيه أنّ صلاح المسلمين لا يتأتى إلا بصلاح علمائهم، و(لن يصلح المسلمون حتى يصلح علماؤهم)، وصلاح العلماء إنما يكون بصلاح تعليمهم، لأنّ التعليم هو الذي يطبع المتعلّم فيما يكون عليه في مستقبله(فالتعليم هو الذي يطبع المتعلم بالطابع الذي يكون عليه في مستقبل حياته وما يستقبل من علمه لنفسه وغيره فإذا أردنا أن نصلح العلماء فلنصلح التعليم ونعني بالتعليم التعليم الذي يكون به المسلم عالماً من علماء الإسلام يأخذ عنه الناس دينهم ويقتدون به فيه)، وصلاح التعليم يتحقق إذا (رجعنا به للتعليم النبوي في شكله وموضوعه في مادته وصورته).

مسلك التدرج في بناء المشروع التعليمي:

وقد سلكت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين مسلك التدرج في بناء مشروعها التعليمي

---

1 آثار ابن باديس- ج 3 ص 557.

2 الحديث (...ألا وإن في الجسد مضغة: إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب صحيح البخاري – كتاب الإيمان- باب فضل من استبرأ لدينه.

3 مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير- ابن باديس – ص150.

4 آثار ابن باديس- ج 3 ص 217.

وفق برنامج محكم لتحرير العقول والأرواح، تمهيدًا للتحرير النهائي للوطن من المستعمر، فقد وضع ابن باديس والإبراهيمي خطة حينما التقيا في المدينة المنورة، قضيا فيها عشر سنوات في التعليم لتكوين نشء علمي، مع عدم التوسع في العلم، وإنما هي التربية على الفكرة الصحيحة ولو مع علم قليل، و(كانت الطريقة التي اتفقنا عليها أنا وابن باديس في اجتماعنا بالمدينة في تربية النشء هي: ألا نتوسع له في العلم، وإنما نربّيه على فكرة صحيحة ولو مع علم قليل، فتمت لنا هذه التجربة في الجيش الذي أعددناه من تلامذتنا)[1]، قال ابن باديس:(ومضينا على ما رسمنا من خطة وصمدنا إلى ما قصدنا من غاية وقضيناها عشر سنوات في الدرس لتكوين نشء علمي لم نخلط به غيره من عمل آخر، فلما كملت العشر وظهرت- بحمد الله- نتيجتها رأينا واجبا علينا أن نقوم بالدعوة العامة إلى الإسلام الخالص والعلم الصحيح إلى الكتاب والسنة وهدى صالح سلف الأمة وطرح البدع والضلالات ومفاسد العادات)[2].

مشروع الجهاد التعليمي للنهضة العلمية والتربوية للأمة الجزائرية:

قام مشروع النهضة العلمية والتربوية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين على مبدأ يرمي إلى غاية جليلة، مبدؤها العلم ومقصدها تحرير الوطن من الاستعمار الفرنسي الصليبي (فالمبدأ هو العلم، والغاية هي تحرير الشعب الجزائري، والتحرير في نظرها قسمان: تحرير العقول والأرواح وتحرير الأبدان والأوطان والأول أصل للثاني، فإذا لم تتحرّر العقول والأرواح من الأوهام في الدين وفي الدنيا، كان تحرير الأبدان من العبودية والأوطان من الاحتلال متعذّرًا أو متعسّرًا، حتى إذا تمّ منه شيء اليوم ضاع غدًا، لأنه بناء على غير أساس، والمتوهّم ليس له أمل، فلا يرجى منه عمل)[3]، ويعتقد العلماء أن التعليم "نوع من الجهاد"، ويرون المدارس "ميادين جهاد"، ويعتبر المعلمين "مجاهدين"، مستحقين لأجر الجهاد، لأنّ "التعليم هو عدو الاستعمار الألد[4]، وأنّ الطلبة أبطال، (وعلى ذلك فهذه

---

[1] آثار محمد البشير الإبراهيمي – ج 5 ص 280.

[2] آثار ابن باديس- ج 3 ص27. قال هذا الكلام في 29 ذي الحجة 1351 هـ الموافق لـ سبتمبر 1932.

[3] آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي- ج 4 ص 343.

[4] الهادي الحسني: السياق التاريخي – آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي- ج 2 ص 20.

الجهود الجبّارة التي تبذلها جمعية العلماء في سبيل العربية والإسلام والتعليم كلها استعداد للاستقلال وتقريب لأجله، ولكن كثيرًا من قومنا لا يفقهون، أو لا يريدون أن يفهموا، ولو أرادوا أن يفهموا لحكموا المحسوس الذي لا يرتابون فيه، وهو أن جمعية العلماء حرّرت العقول وصقلت الأفكار وأيقظت المشاعر، والنتيجة الطبيعية لذلك كله هي تحرير الأبدان، لأنّ الأول مدرجة إلى الثاني)[1].

المرأة الجزائرية في المشروع التعليمي لجمعية العلماء:

سعت جمعية العلماء لكسر الجمود الذي كان مانعا من تعليم المرأة، وإخراج المرأة من دائرة الجهل إلى فضاء التربية والعلم في إطار التربية الإسلامية والمكانة المرموقة التي وضعها الإسلام فيها، وقد بنت جمعية العلماء ذلك على حقيقة(وهي أنّ الأمة كالطائرة لا تطير إلا بجناحين، وجناحاها هما الرجل والمرأة)[2] وعليه فالأمّة لا يمكنها أن تخصّ الذّكر بالتّعليم دون الأنثى، ولجمعية العلماء اليد الطّولى في ميدان تعليم المرأة الجزائرية، لئلا تكون لا نصف رجل ولا نصف امرأة قال ابن باديس: (فعلينا أن نعلّمها كل ما تحتاج إليه للقيام بوظيفتها، ونربّيها على الأخلاق النسوية التي تكون بها المرأة امرأة لا نصف رجل ونصف امرأة، فالتي تلد لنا رجلا يطير خير من التي تطير بنفسها)[3]، وهي في ذلك غير متبرمة بمكانها من الرجل لأن الإسلام أعطاها حقّها واستوقن لها من الرجل واستوثق منه على الوفاء لها.

فمقصد الجمعية من تعليم المرأة الجزائرية هو أن تعرف ما تكون به مسلمة، وليس لها لمعرفة إلا طريق دينها الذي يعلّمها ما لها وما عليها، لقوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾﴾ البقرة.

وأن تعرف المرأة ما تكون به جزائرية معتزة بدينها وبلغتها وقوميتها (لتلد أولادا منا ولنا، يحفظون أمانة الأجيال الماضية للأجيال الآتية، ولا ينكرون أصلهم وإن أنكرهم العالم

---

[1] آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي- ج 4 ص 171.

[2] نفسه - ج 4 ص 170.

[3] آثار ابن باديس - ج 3 ص 469.

بأسره، ولا يتنكرون لأمتهم ولو تنكر لهم الناس أجمعون)[1].

مسلك جمعية العلماء في تعليم المرأة:

والطريق الذي يوصل المرأة إلى أن تعرف كيف تكون مسلمة، وكيف تكون جزائرية هو طريق التربية التعليم وذلك بـ(تعليم البنات تعليما يناسب خلقتهن ودينهن وقوميّتهنّ)[2]، وقد بلغ عدد البنات المتمدرسات في مدارس جمعية العلماء سنة 1953 نحو ثلاثة عشر ألف بنت (وفي مدارس جمعية العلماء نحو ثلاثة عشر ألف بنت [3]، يشاركن الأولاد في السنوات الثلاث الأولى من المرحلة الابتدائية...).

الفصل بين البنين والبنات:

نهجت جمعية العلماء في مدارسها منهج الفصل بين البنين والبنات بعد السنوات الثلاث الأولى من المرحلة الابتدائية، والتي تكون مختلطة بين البنين والبنات، فـ(ينفردن ببرنامج محكم، وينعزلن في صفوف خاصة مع الشدة في التربية الإسلامية، والدقة في المراقبة)[4].

تعليم النساء:

وأما النساء فقد خصّتهن جمعية العلماء بدروس خاصّة بهنّ في الوعظ والإرشاد ليتفقهن فيما لهنّ وما عليهنّ وقد (شهد الرّجال بتبدّل الحال وظهور النتائج في المحافظة على العرض والمال وفي إحسان تدبير المترل وتربية الولد)[5].

إنّ مسلك النهضة الصحيح الذي تنشده جمعية العلماء هو(يوم نسلك هذا الطريق في تعليم المرأة، والطريق السابق في تعليم الرجل سلوكا جديا نكون- بإذن الله- قد نهضنا بهما نهضة صحيحة نرجو من ورائها كل خير وكمال)[6].

مسلك ابن باديس في إشراك الأمة الجزائرية في المشروع التعليمي

---

[1] نفسه - ج 3 ص 469.

[2] آثار ابن باديس- ج 3 ص 469.

[3] ذكر هذه العدد في مذكرة إيضاحية قدّمت لوزارة المعارف المصرية ولمشيخة الأزهر الشريف وللأمانة العامة لجامعة الدول العربية في يناير الماضي 1953)- آثار الإبراهيمي- 4 ص 161.

[4] آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي – ص 4 ص 170.

[5] نفسه - ص 4 ص 170.

[6] آثار ابن باديس - ج 3 ص 470.

وجه ابن باديس نداء وبيانا إلى الأمة المسلمة الجزائرية [1] دعا فيه الأمة المسلمة الجزائرية بالوطن وخارجه وجميع المحبّين، محبّي الخير للمسلمين إلى النّفير العلمي، وقد صدّر نداءه بقوله تعالى: ﴿... فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ التوبة، وبأحاديث لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم منها: ((ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما ، سهل الله له به طريقا إلى الجنة))[2]، وقد حدّد في هذا النداء المقصودين منه:

أولا: عموم الشعب الجزائري:

فقد بيّن بيانا عاما لعموم الشعب الجزائري بأنّ الله قد فرض على المسلمين النفير العلمي بـ(أن تنفر منه طائفة لتتفقه في الدين وترجع إلى قومها بالإنذار، فبذلك يرجى لهم الرجوع إلى الله، وما هو إلا الرجوع من الضلال إلى الهدى ومن الباطل إلى الحق)[3]، ثم دعا عموم الشعب الجزائري الكريم بدعوة الله إلى (مد يد المعرفة على هذا العمل الواجب العظيم ندعوكم لتمدوا صندوق هؤلاء الطلبة، بما استطعتم من خير... فهلموا إلى التعاون على البر والاحسان- أيها الإخوان- والله المستعان)[4].

ثانيا: الشباب حملة القرآن طلبة العلم:

الطائفة التي يجب عليها النفير العلمي وهم: الشباب حملة القرآن الذين هبوا لطلب العلم والتفقه فيه فهم (يحملون الإيمان في قلوبهم والقرآن العظيم في صدورهم، والروح الجزائرية المسلمة في لحومهم ودمائهم لا يقصدون إلا أن يتعلّموا فيعلّموا ويتفقّهوا فيفقّهوا، ولا يرجون من ذلك إلا رضا الله ونفع عباده)[5].

وفي سنة 1934 التحق طلبة العمالة الوهرانية اكتمل بهم التمثيل الوطني (وامتازت هذه السنة عن سابقاتها بشيئين الأول قدوم الطلبة من العمالة الوهرانية فتم بهم تمثيل الطلبة للجزائر كلها)[1].

---

[1] آثار ابن باديس - ج 3 ص 230.

[2] صحيح مسلم- كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار- باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر.

[3] آثار ابن باديس - ج 3 ص 230.

[4] نفسه - ج 3 ص 231.

[5] نفسه - ج 3 ص 231.

ثالثا: أهل البر والخير:

ثم توجّه إلى أهل البر للدلالة على الخير بالقول أو العمل ليشركهم في مشروع نهوض الأمة الجزائري بالتعليم (وأن المعينين لإخوانهم في الخير يعينهم الله ومن إعانته لهم تيسير ذلك الخير عليهم إلى مثله من الخير: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧﴾ الليل، ومن إعانته لهم التعويض عليهم عما أنفقوا بالعطاء المضاعف الكثير ﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٢٤٥﴾ البقرة...)[2].

وقد استطاع ابن باديس أن يفعل العمل الخيري لينخرط فيه المحسنون بمختلف تخصصاتهم ليكون منهم الطبيب الرسالي والطباخ الرسالي والخباز الرسالي ولحمامجي[3] الرسالي والفلاح الرسالي [4]:

- أطباء الطلبة المتبرعون: الدكتور بن جلول، الدكتور ابن الموفق، الطبيب زرقين طبيب الأسنان.

- ومحسنون: السيد ابن جلول محمود الطباخ فقد كان نحو الخمسين تلميذا يتناولون غذاء خبزهم في مطبخته، السادة بو لحبال، زعيتر محمد بو رغيدة علي الكواوشة، فقد كانوا معتنين بالتلامذة مساعدين في ثمن الخبز والعمل.

- فلاحون من أهل بسكرة وضواحيها أرسلوا نحو ثلاثين خيشة من التمر.

- السيدان الحاج المربي وعمر أبناء مغسولة خصصا في مسجدهما سيدي بو معزة القسم الأعلى لسكنى الطلبة.

رابعا المعلمون:

ثم حمّل ابن باديس نفسه مسؤولية استقبال الوافدين من الطلبة الأبطال المتجردين ليقوم على ما يلزمهم (من دروسهم وما استطاع من نفقاتهم وضم إليه من الشيوخ ومن كبار

---

[1] آثار ابن باديس - ج 3 ص 198.

[2] نفسه - ج 3 ص 231.

[3] لحمامجي هو صاحب الحمام الذي يستعمل في النهار للاستحمام وفي الليل للمبيت، فكانوا يخصصون أماكن للطلبة مجانا وذلك قبل بناء دار الطلبة.

[4] آثار ابن باديس - ج 3 ص 206. من تقرير الدروس العلمية للجامع الأخضر بقسنطينة سنة 1934 .

تلامذته من يعينه على تعليمهم)[1]، وقد عرف ابن باديس بقضاء عمره في التعليم الذي لا عمل له سواه فقد بدأ التعليم سنة 1913 قال: (إنني قصرت وقتي على التعليم فلا شغل لي سواه فأردتم أن ترمزوا بانتخابي إلى تكريم التعليم إظهارا لقصد من أعظم مقاصد الجمعية وحثا لجميع الأعضاء على العناية به كل بجهده)[2]، ففي سنة 1934 وبعد نهاية السنة الدراسة يقول: (بانتهاء هذه السنة الدراسية أنهينا- بحمد الله- إحدى وعشرين سنة في التعليم وامتازت هذه السنة عن سابقاتها بشيئين الأول قدوم الطلبة من العمالة الوهرانية فتم بهم تمثيل الطلبة للجزائر كلها، والثاني مشاركة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بما استطاعته من الإعانة لصندوق الطلبة فكان ذلك أول خطوة خطتها الجمعية لغايتها الكبرى وهي تأسيس كلية علمية للعلوم الإسلامية وما هؤلاء المجتمعون من العمالات الثلاث إلا نواة لذلك المشروع العظيم حقق الله فيه الآمال)[3].

وسائل تنفيذ مشروع النهضة العلمية والتربوية:

ما تركت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من سبيل لتنفيذ مشروعها التعليمي إلا سلكته وجاهدت من أجله، ومن وسائلها لتحقيق النهضة العلمية والتربوية:

1 - **مقاومة الأمية** [4]:

تعتبر الجمعية الأمية هي شلل الأمم، وهي أقوى الأسباب التي مكّنت للاستعمار، وتفشّيها في الأمّة الجزائرية هو الذي أقعدها عن مجاراة الأحياء في الحياة، وقد صنعت جمعية العلماء في هذا الميدان ما لم تصنعه الحكومات، حاربت جمعية العلماء هذا الداء الوبيل الذي يقتل الفكر والضمير، ويقضي على العقل والروح، ويطفئ المواهب، ويخدر المشاعر، ويضعف الاستعداد، وشدّدت العزائم على حربه، وفتحت دروسًا ليلية للكبار لا تزاحم البرامج المقررة، وعمّمت تلك الدروس بالتدرّج في نواديها وكثير من مدارسها، وجنّدت لهذا

---

[1] آثار ابن باديس – ج 3 ص 231.

[2] نفسه – ج 3 ص 521.

[3] نفسه – ج 3 ص 198.

[4] آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي- ج 2 ص 172.

الميدان مئات من معلّميها، وراجت هذه الدروس واشتدّ إقبال الأميين عليها حتى بلغوا في بعض الأحيان عشرات الآلاف، فيما بين سنتي 1937 و 1939 .

قال الإبراهيمي: ولقد رأينا بأعيننا من معجزات العزيمة أن أميًّا مسنًا أصبح معلّمًا، معلّمًا للأميين وإمامًا لهم يدينون له بالاحترام.

2- **التعليم المسجدي:**

المقصود بالتعليم المسجدي: التعليم الذي تلتزم فيه كتب معيّنة في العلوم الدينية من تفسير وحديث وفقه وأصول وأخلاق، والعلوم اللسانية من قواعد ولغة وأدب، والعلوم الخادمة للدين من تاريخ وحساب وغيرهما، ويقوم به مشائخ مقتدرون في تلك العلوم محسنون لتعليمها، ونسمّيه مسجديًا لأنه كان من فجر الإسلام إلى الآن وما زال يلقى في المساجد... وما بقي الإسلام محفوظًا إلا بهذا النوع من التعليم الذي من أصوله تفسير القرآن والحديث النبوي[1].

أصل مشروعية التعليم المسجدي:

أصّل ابن باديس رحمه الله: لمشروعية التعليم المسجدي واستمرار العمل به منذ بزوغ فجر الإسلام فلا يمكن بحال التفريق بينهما، قال رحمه الله: (المسجد والتعليم صنوان في الإسلام من يوم ظهر الإسلام فما بنى النبي ﷺ يوم استقرّ في دار الإسلام بيته حتى بنى المسجد، ولما بنى المسجد كان يقيم الصلاة فيه ويجلس لتعليم أصحابه، فارتباط المسجد بالتعليم كارتباطه بالصلاة، فكما لا مسجد بدون صلاة كذلك لا مسجد بدون تعليم.... ثم مضى المسلمون على هذه السنة في أمصار الإسلام يقفون الأوقاف على المساجد للصلاة والتعليم، ومن أظهر ذلك وأشهره اليوم، الجامع الأزهر والزيتونة والقرويين).

الحكم الشرعي للتعليم المسجدي ووجوب القيام به[2]:

لما كانت الحاجة إلى التعليم المسجدي عامة فوجوب إقامته وجوب عامّ على الأمة بجميع طبقاتها، ولا يسقط الوجوب عن أحد إلا إذا قام بالتعليم أهله فكفوا الباقين.

---

[1] آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي – ج 2 ص 170.

[2] آثار ابن باديس ج3 ص 225 / 227.

ومن الواجب على المتولي أمر العامة أن يبعث فيها من يعلمها أمر دينها كما كان النبي- صلى الله عليه وآله وسلم-يفعل فإذا قصّر ذلك المتولي كان على الجماعة أن تقوم به فإن قصّرت لحق الإثم كل فرد منها.

أنموذج الحركة العلمية بالجامع الأخضر

كتب ابن باديس في البصائر يوم الجمعة 26 رمضان 1355هـ الموافق ليوم 11/ 12 / 1936 مبيّنا الحركة العلمية بالجامع الأخضر قال:

- عدد التلامذة: نحو الثلاثمائة.

- العلوم التي تقرأ: التفسير، الحديث، الفقه، الفرائض، العقائد، الأدب، المواعظ، التجويد، الأصول، المنطق، نحو، الصرف، البلاغة، الأدب، محفوظات، ومطالعات، ودراسة الإنشاء ، الحساب، الجغرافية، التاريخ.

- **الكتب المدروسة**[1]:

الموطأ،أقرب المسالك،الرسالة،ابن عاشر،الزندبوي،المفتاح،التنقيح،السلم،المكودي،القطر، الآجرومية، الزنجاني، اللامية، السعد، الجوهر المكنون، من ديوان الحماسة، من ديوان المتنبي، آمالي القالي، من مقدمة ابن خلدون.

المعلمون: المعلمون الشيوخ: عبد الحميد بن باديس، عبد الحميد بن الحيرش، حمزة بكوشة المتخرجون من جامع الزيتونة المعمور.

ومن كبار التلامذة الشيوخ: البشير بن أحمد، عمر دردور. بلقاسم الزغداني.

3 - **التعليم المدرسي وهو موجه للطلبة المتمدرسين:**

يعدّ بناء المدارس: الغرة اللائحة في أعمال جمعية العلماء، وهو سجلّ الفخار في تاريخها وتاريخ الجزائر الحديث، لقد كانت الجزائر كلها خالية من المدارس العربية النظامية الحرة إلا كتاتيب قرآنية كلها فوضى مهدّدة بالإغلاق في كل حين، ولو بأمر أحقر موظف حكومي، وتعليم العربية في المدارس الحكومية اسم بلا مسمّى وعلم بلا علم، ثم قامت جمعية العلماء منادية بإحياء العربية على رغم أنف الاستعمار (وما جاءت سنة 1943 حتى تجلّت آثار هذا التفكير واغتنمتها الجمعية فأسّست في سنة واحدة سبعين مدرسة في أنحاء القطر)[1].

---

[1] آثار ابن باديس ج3 ص 229.

وقد ألقى الشيخ الإبراهيمي محاضرة يوم 5 جوان 1955 بالقاهرة ومما قال فيها: (وللجمعية الآن – بل للأمة الجزائرية – أكثر من **مائة وخمسين مدرسة ابتدائية حرة** رغم الاستعمار الفرنسي، يتردد عليها أكثر من خمسين ألف تلميذ من أبناء الأمة الجزائرية، بنين وبنات، يدرسون مبادئ لغتهم وآدابها، وأصول دينهم وتاريخ قومهم على برنامج يجمع ضروريات العلم وإيجابيات التربية الإسلامية القومية الوطنية الصحيحة)[2]

مشروع جامعة عربية إسلامية في الجزائر:

بعد أن تحقّق مشروع معهد ابن باديس تاقت نفس الإبراهيمي إلى إنشاء جامعة عربية إسلامية تكون تكملة للمشروع التربوي والتعليمي، يقول: (فكّرت جمعية العلماء منذ سنوات في تكوين جامعة عربية إسلامية بمدينة الجزائر تبنى الدراسات العالية فيها على الروح الإسلامية الشرقية الصافية وعلى غايات العلوم الحديثة النافعة)[3].

4- **إرسال القوافل الدعوية عبر ربوع الوطن**[4]:

ومن وسائل الجمعية لنيل غايتها في التربية والتعليم (نظام للوعظ والإرشاد تظهر روعته في كل رمضان على الخصوص، قوامه 140 واعظًا)[5]:

تسمية من فيه الكفاءة من أعضائها وُعّاظًا مرشدين لترسلهم على نفقتها إلى نواحي القطر وتنظم لذلك رحلات تراعى فيها عدّة اعتبارات:

– أن تلقى المحاضرات بلغة عامية أو قريبة من العامية.

– وأن يكون المحاضر المتجول مبشّرًا لا منفرًا.

– وأن لا يخرج في أحاديثه الخاصة والعامة على منهاج الجمعية.

– أن يكون ملمًّا بالدخائل النفسية لسكان تلك الناحية حتى يعرف من أين يأتيهم.

– أن يكون ممثلًا للجمعية بقوله وفعله وحاله.

– ومن الكمال أن يكون لكل مرسل علاقة شخصية بالناحية التي يُرسل إليها أو ذكر

---

[1] آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي– ج 4 ص 172.

[2] نفسه – ج 5 ص 154.

[3] نفسه – ج 4 ص 177.

[4] نفسه – ج 1 ص 85.

[5] نفسه – ج 4 ص 178.

شائع أو سمعة حسنة.

وتنظيم هذه الرحلات وتحديد المواضيع التي يقع فيها الكلام وتحديد أوقاتها من خصائص المجلس الإداري.

5- تأسيس النوادي[1]:

صنّفت جمعية العلماء الأمّة إلى ثلاث طبقات متفاوتة الشعور والإدراك، ولكنها مشتركة في القابلية والاستعداد وهي: الشيوخ والشباب والأطفال.

وقد اعتنت الجمعية بالطبقات الثلاث في آن واحد كل طبقة على قدر استعدادها، ولكن أين تلتقي بهذه الطبقات؟

فإذا كانت المساجد هي مكان الالتقاء بالشيوخ والكهول، والمدارس التي شيّدتها هي مكان الالتقاء بالأطفال، فأين تلتقي بالشبّان الذين فاتتهم المدرسة والمسجد معًا؟

لعلماء الجمعية عزائم لا تقف دونها الصعاب، فأنشأت: مشروع النوادي لتكون وسطًا طبيعيًا بين المساجد والمدارس، وتلتقي فيها بالشبّان الذين هم وسط طبيعي بين الشيوخ والأطفال.

الغاية من تأسيس النوادي: وغاية جمعية العلماء من إنشاء النوادي هي إصلاح ما أفسدته المقاهي والملاهي من أخلاق الشباب، وتكون النوادي ميادين للعمل ومنابر للخطابة، ومستغلّات للعلم والتعليم، ليكون الشاب(حِلْفَ عمل لا حليف بطالة، وحلس معمل لا حلس مقهى، وبطل أعمال لا ماضغ أقوال، ومرتاد حقيقة لا رائد خيال)[2].

وفي مدة قصيرة استطاعت الجمعية إنشاء عشرات النوادي في المدن والقرى، وَدَعَت إليها الشبّان فاستجابوا وأقبلوا عليها لأنها أقرب إلى أمزجتهم ولأن فيها شيئًا من التسلية والمرح ... وفي ظل هذه الجواذب التقت الجمعية بالشبّان وقامت بحق الله فيهم فنظّمت لهم فيها محاضرات تهذب بها أخلاقهم وتعرّفهم بأنفسهم وقيمتهم ومنزلتهم في الأمة وتجمع قوّتهم، ودروسًا تعلّمهم بها دينهم ولغتهم وتاريخهم، فكان لمشروع النوادي آثار في الشبان تساوي آثار المدرسة في الأطفال وتفوق آثار المساجد في الشيوخ والكهول، ومن النوادي خرج الشبّان إلى المسجد يؤدّون حق الله، وإلى ميادين العمل يؤدون واجبات المجتمع)[1].

---

[1] آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي – ج 4 ص 173.بتصرف.

[2] نفسه – ج 3 ص 509.

خاتمة

أختتم هذه الورقة العلمية بأهم ما توصلت إليه من نتائج:

1- قام المشروع الفرنسي على سياسة (التجهيل) ليسهل عليها الإجهاز على الجزائر والجزائريين فهيّأ الله جلّ وعزّ علماء الجمعية الذين أجهضوا المشروع الاستعماري

2- عبقرية علماء الجمعية في التخطيط المستقبلي لمواجهة مشروع (التجهيل) الاستعماري المدعوم بالمال والقوة، لتحرير العقل الجزائري تمهيدا لتحرير الوطن من الاستعمار.

3- مسلك النهضة الصحيح الذي سلكته الجمعية – كما قال ابن باديس– (يوم نسلك هذا الطريق في تعليم المرأة، والطريق السابق في تعليم الرجل سلوكا جديا نكون– بإذن الله– قد نهضنا بهما نهضة صحيحة نرجو من ورائها كل خير وكمال).

4- لولا التعليم الحر الذي اضطلعت به جمعية العلماء لانعدمت العربية وانعدم تعليم الإسلام في الديار الجزائرية، ولفقدت الأمة الجزائرية هويتها.

5- الجمع بين التربية والتعليم هو المنهج الأمثل –لأنه المنهج القرآني–الذي اتبعته الجمعية لبناء مشروعها التعليمي لتكوين الرجال الرساليين.

6- لابن باديس فضل السبق في تبني التعليم كأساس لبناء نهضة تربوية وعلمية لتحقّق الأمة الجزائرية استقلالها، فهو رائد النهضة العلمية والتربوية بلا منازع.

وصلّى الله وسلّم على المبعوث رحمة للعالمين

---

[1] آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي – ص 4 ج 174.